مجمع اللغة العربية الأردني

19 تشرين الأول 2014 م

24 ذو الحجة 1435 هـ

تعقيب على بحث

الأستاذ الدكتور "عودة أبو عودة"

الموسوم بـ

"صورة اللغة العربية في

وسائل الإعلام والاتصال"

- **د. نبيل الشريف**

يسعدني إبتداءً أن أتوجه بصادق الشكر إلى مجمع اللغة العربية الأردني على جهوده الكبيرة المقدرة في مجال الحفاظ على اللغة العربية، وتنبيه المجمتع إلى مكامن الخلل في تعامل القطاعات المختلفة معها، فاللغة هي أساس تماسك الأمة وسر قوتها ووحدتها، وأي ضعف يعتريها يعد ضعفًا في بنيان الأمة بأسرها.

وقد إضطلعت اللجنة الوطنية للنهوض باللغة العربية بمسؤولية استقصاء مواطن الضعف والخلل في تعامل المشتغلين في المجالات المختلفة مع اللغة العربية. فكل الشكر لرئيس اللجنة عطوفة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة الأكرم وأعضائها المبجلين على أداء هذه المهمة على هذا الوجه الطيب.

كما أتوجه بوافر التقدير والاعتزاز لأخي الدكتور عودة خليل أبو عودة على بحثه القيم الموسوم "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال" والذي قدم فيه عرضًا وافيًا لنتائج عمل فريق الرصد اللغوي الإعلامي الذي شكل لرصد المادة اللغوية الإعلامية من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية المسموعة والمقروئة، وخرج

بعد ذلك بتشخيص واضح ووصف محدد لمكمن العلة وموطن الضعف في تعاطي وسائل الإعلام المختلفة مع اللغة العربية.

ومن الخلاصات المهمة التي أشار إليها الباحث الكريم وذكرتها اللجنة قوله "أن الأخطاء في الإعلام المسموع لا تختلف عن الأخطاء في الإعلام المرئي المسموع، كما أن الإعلام المقروء فيه أخطاء، ولا يوجد أفضلية لإحدى الوسائل عن الأخرى، وهي كلها تحتاج إلى معالجة. "كما أشار أيضًا إلى" أن جميع وسائل الإعلام بها كم لا يستهان به من الأخطاء، وأن هذا يؤثر سلبًا على جودة المنتج الإعلامي".

إن اللغة وعاء الفكر، ولا يمكن لمادة إعلامية أن تصل إلى قلوب وعقول المتلقين إذا كان الوعاء الذي تُنقل عبره الأفكار مثقوبًا أو مثلومًا. وكثيرًا ما نجد أنفسنا نتابع برنامجًا إعلاميًا فنكتشف أن ما يقوله الإعلامي مشوش وضبابي لأنه لم يحسن وضعه في قالب لغوي صحيح، فالتفريق بين المعنى والمبنى في هذا المجال ضرب من المستحيل.

إن الموضوع الذي نحن بصدده اليوم والمتعلق بهذه الدراسة القيمة حول "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال" يكتسي أهمية خاصة نظرًا للانتشار الواسع وغير المسبوق لوسائل الإعلام في السنوات الأخيرة وتأثيرها البالغ على حيوات الناس في كل مكان.

ان التغيير هو سنة الحياة وقد تكيف البشر دائماً مع حقيقة التغير والتطور منذ بدء الخليفة ... ولعل الدرس الأهم في علوم الاحياء هو ان البقاء لا يكون الا للأصلح ، والاصلح هنا هو من يمتلك قدرة اكبر على التكيف مع المتغيرات ، فقد انقرضت كائنات لم تمتلك هذه القدرة وعاشت كائنات اخرى وكانت لها الغلبة لانها استطاعت ان تتكيف مع المستجدات. وقد تطور المشهد الإعلامي الراهن بشكل كبير في السنوات القليلة الماضية.

لقد تشكل المشهد الاعلامي الجديد بعد انطلاق الشبكة العنكبوتية " الانترنت" من رحم الدوائر الامنية والدفاعية الامريكية عام 1985 رغم أن التفكير به بدأ في وزارة الدفاع الامريكية في اوائل الستينات من القرن المنصرم .

وقد احدثت شبكة الانترنت ثورة شاملة في المفاهيم الاساسية للإعلام وأعادت صياغة المبادئ التي يقوم عليها العمل الصحافي بشكل جذري .

لقد طرأ تحول شامل على كل تفاصيل المشهد الإعلامي، إذ أن التعريف التقليدي للإعلام الذي يقوم على وجود رسالة ومرسل ومستقبل اصبح عديم الجدوى ، فقد اصبح المستقبلاً مرسلاً وغادر موقع التلقي السلبي الى فضاء التفاعل الايجابي.

وحتى مفهوم الاحتراف الاعلامي اصبح مهدداً على ضوء قيام المواطنين العاديين بمهام صحفية واعلامية ، فقد ساد مؤخراً مصطلح ما يسمى بـ " الصحفي المواطن " أو " صحافة المواطن "، إذ غدا بإمكان المواطن العادي أينما كان ان يقوم بإرسال تقارير وأخبار وصور من موقع سكناه أو عمله عبر الهواتف المتنقلة أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي مثل (فيس بوك)و(تويتر) و(يوتيوب) و(يكبيديا) كما غيرت (ويكيليس) مفهوم سرية المعلومات والوثائق إلى الأبد ، واصبح بامكان اي مواطن ان يخاطب العالم كله ويشرك الاخرين

في ما يجول في خاطره وفكره وذلك من خلال المدونات والمواقع الالكترونية الخاصة والاخبارية.

كما اصبحت وسائل الاعلام التقليدية تعتمد إعتماداً كبيراً على الصحفيين المواطنين لنقل صورة ما يجرى خصوصاً في اوقات الازمات ، وأصبح مألوفا أن نجد صحيفة مرموقة مثل (نيويورك تايمز) تستند في اعدادها لتقرير حول ما يجري في دولة ما على تقارير ارسلها مواطنون عاديون او على ما يكتبه المدونون من وصف للوقائع والمجريات.

كما اصبحت محطات التلفزة تعتمد على افلام (يوتيوب) وما يصوره الناس العاديون بهواتفهم النقالة لاطلاع الناس على ما يجري في مكان ما في العالم.

ويمكن القول أن أهم واشهر الصور والتقارير التي تداولها العالم في السنوات الاخيرة لم يسجلها صحفيون او مصورون

محترفون، بل كانت من اعمال مواطنين عاديين وضعتهم الاقدار في قلب العاصفة لدى وقوع الاحداث والتطورات.

إن التطورات التي حدثت على صعيد وسائل الاعلام في السنوات الاخيرة جعلت هذه الوسائل تشكل عصب الحياة والحديثة في كل المجالات. فالدولة التي لا تحسن شرح سياساتها للإعلام تتعرض للتشويه وربما تتعرض لما هو أكثر من ذلك ، والسياسي الذي يتجاهل وسائل الاعلام في الانتخابات أو يعرض عنها يجد نفسه مهمشاً يجرجر أذيال الخيبة والفشل ، ورجل الأعمال الذي لا يشرح خططه وبرامجه ويدافع عماّ حقق وانجز لا يستطيع ان يدفع عن نفسه وأعماله الفشل المحتوم مهما كان ناجحاً في مجال التجارة والأعمال.

وأحسب أني لست مضطراً للتأكيد أن الاعلام في السنوات الاخيرة أصبح من القوة والتأثير بحيث أن المعارك غدت تدار وتكسب من خلال وسائل الاعلام قبل أن تحسم على أرض المعركة، وأمست الأوضاع الاقتصادية في دول العالم تتأثر سلباً أو إيجاباً بما تبثه

وسائل الإعلام ... ويكفي أن تنشر وسيلة إعلامية خبراً صغيراً عن احتمال تخفيض قيمة العملة أو رفع سعر الخبز في بلد ما ليدخل هذا البلد في دوامة من الأفعال وردود الأفعال التي قد تعرف بداياتها ولكن أحداً لا يستطيع التكهن بنهاياتها . كما أن ما يحدث في اقصى أطراف الكون تتردد أصداؤه في كل أرجاء العالم خلال ثوانٍ.

وقد بالغ البعض في أهمية هذه الاصوات الجديدة التي تقدم إعلاماً بديلاً غير مقيد بأية قيود ومتحرراً حتى من القواعد المهنية التي يراعيها الصحيفون المحترفون إلى الحد الذي جعلهم يقولون أن الصحافة المكتوبة كما نعرفها ستنتهي في العام 2015 على اكثر تقدير، وخصوصاً في ضوء نشوء الإعلام الرقمي الذي يتسم بالتفاعلية والانتشار.

ومن مزايا الإعلام الرقمي أنه إعلام آني وتفاعلي فهو ينقل ما يحدث ويجري لحظة بلحظة وهناك موقع إخباري أمريكي يسمى الأخبار ثانية بثانية فلم يعد يكفي أن تنقل الأخبار دقيقة بدقيقة .

وهذا تقدم غير مسبوق في إمكانيات وسائل الإتصال، فالصحيفة تنشر أخبار اليوم السابق ونشرة الأخبار المسائية على التلفزة تعرض ما حدث قبل عدة ساعات . كما ان الإعلام الرقمي الجديد تفاعلي أي أن المتلقى للرسالة الإعلامية لم يعد سلبياً، بل هو شريك فاعل يساهم برأيه في صياغة المادة الإعلامية فهو يعلق على ما يقرأ عبر المدونات، كما أنه شريك بفكره ورأيه عبر مواقع التواصل الإجتماعي. وهو شاهد بنقل عبر المدونات ما يجري حوله بالكلمة والصورة.

إن هذا الانتشار السريع وغير المسبوق لأثر وسائل الإعلام في الحياة المعاصرة يقتضي انتهاج مقاربة مدروسة لمواكبة هذه المتغيرات على صعيد تعامل وسائل الإعلام مع اللغة العربية.

وعلنا مطالبون عند تقصي واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام أن نبذل جهدًا أكبر في تلمس ذلك في وسائل الإعلام الرقمية الجديدة، فهذه الوسائل في حالة صعود وانتشار، وهي التي تشكل عقول الشباب وتؤثر على توجهاتهم.

أما مشكلة وسائل الإعلام الجديدة مثل (فيس بوك) و(تويتر) فإنها تعمل دون مرجعيات هرمية واضحة، فلا يوجد هنا رئيس تحرير يتم الاتفاق معه على خطة عمل فيلتزم بها، فنحن نتعامل في حقيقة الأمر مع مئات الملايين من رؤساء التحرير (إذا جاز التعبير). ولا شك أن الوصول إلى كل هؤلاء أمر دونه خرط القتاد، وقد يكون المطلوب هو أن تكون لمجامع اللغة العربية صفحات على هذه الوسائل الجديدة لمخاطبة الشباب والتواصل معهم وتنبيههم إلى الأخطاء الشائعة عند تناول الناس للغة الفصيحة في هذا الزمن.

إن غياب أو انعدام أثر المرجعيات الإدارية في العمل الإعلامي الجديد يجعل التواصل صعبًا بلا شك. وهذا يجعلنا مطالبين بالتعامل مع هذا العصر بأدواته وأساليبه دون التخلي عن مخاطبة المسؤولين عن وسائل الإعلام التقليدية كالتلفاز والإذاعة والصحيفة.

ومن الأدوات المفيدة أيضًا هنا تخصيص صفحات على مواقع التواصل الإجتماعي لتقديم المصطلحات الجديدة للناس وتعريفهم بها.

وعند الحديث عن أثر التطور الإعلامي التقني الهائل على واقع اللغة العربية فمن الضروري الإشارة إلى أن هذا التطور ألغى أو قلص دور المدقق اللغوي في وسائل الإعلام.

فقد كانت الصحف ومحطات التلفاز والإذاعة تحرص على وجود أقسام التدقيق اللغوي، وعلى إخضاع الراغبين بالإلتحاق في هذه الأقسام إلى امتحانات قاسية. وكان هؤلاء المدققون، الذي وصل عددهم في إحدى الصحف في يوم من الأيام إلى عشرين، يحرصون على مراجعة كل كلمة وتدقيق كل نص.

ولم تكن النصوص تعرض على مدقق واحد بل كان يدققها شخص ثم تتم مراجعتها من قبل شخص آخر ثم تمر في نهاية المطاف على رئيس قسنم التدقيق ليجيزها بشكلها النهائي، وكان مدقق للنص يذيل الصفحة بتوقيعه ليتحمل المسؤولية عما أجاز مما يجعله يعمل بلا هوادة حتى لا تقع في النص أخطاء فيكون هو مسؤولاً عنها وتوقع عليه العقوبات.

لقد انقضى هذا الزمن ومضى، وتلاشت أقسام التدقيق اللغوي من وسائل الإعلام أو كادت. ويعوذ ذلك إلى طبيعة العمل الإعلامي الراهن الذي يقوم على إناطة جميع مراحل إعداد النص الإعلامي (سواء أكان خبرًا أو تقريرًا أو تحقيقًا) بشخص واحد. فهو ينزل إلى الميدان ليتابع الخبر ويصوره، وهو الذي يكتب الخبر ويضع عنوانه مباشرة ويختار إخراجه المناسب على الصفحة، ثم يقوم بإرساله إلى مدير التحرير لإجازته وتحويله للنشر.

ويتباهى مطورو الإعلام الحديث أنهم قاموا بتقليص عمليات النشر الصحفي، فلم يعد هناك مدقق لغوي أو مخرج أو مصور، فالصحافي يقوم بهذه العمليات جميعها وحده. وقد لاقى هذا التطور التقني ترجيب المؤسسات الإعلامية لأنه وفر عليها الكثير من الأموال بسبب إلغاء أو تقليص هذه الأقسام.

إن معالجة ضعف تناول العاملين في وسائل الإعلام للغة العربية يجب أن يبدأ من كليات الإعلام. فهذه الكليات هي التي تدفع بمئات الخريجيين للعمل في وسائل الإعلام في نهاية كل فصل دراسي.

وتقتضي المصارحة القول أن عددًا من هؤلاء الخريجيين يفتقرون إلى معرفة القواعد الأساسية للغة العربية، فبعضهم يلتحق بكليات الإعلام فقط لأنها تقبل أصحاب المعدلات الدراسية الأدنى، ولا يفعلون ذلك بالضرورة إنطلاقًا من انجذابهم لعمل الصحافة.

وإذا ما نظرنا إلى واقع المناهج التي تدرس في كليات الإعلام، فسنرى أنها لا تولي إلا القليل من الإهتمام باللغة العربية.

وأرى أنه م ن الضروري أن نخرج بتوصية لإضافة مساقات اللغة العربية الأساسية إلى مناهج كليات الإعلام، فالإعلامي الذي يتقن المهارات الإعلامية سيكون غير قادر على نقل رسالته للناس إذا لم يكن يمتلك ناصية اللغة، فالتمكين اللغوي هو تمكين إعلامي أيضًا.

ولا يخفى على أحد أن الإعلاميين يتمتعون بقدرة فائقة على التأثير على الناس، فهم ينظرون إليهم باعتبارهم قدوات ونماذج تحتذى.

وهناك قدر من الإنبهار بالإعلاميين الناجحين لدى قطاعات واسعة من المواطنين. فإذا ما رأى الناس إعلاميًا ناجحًا يتحدث إليهم بلغة فصيحة ودونما أخطاء فإنهم يحاولون الاقتداء به، فهو بالنسبة لهم نجم ملهم. وبمعنى أخر، فإن تأثير الإعلامي لا يتوقف عند حدود ذاته بل يجاوز ذلك ليصل إلى المجتمع كله.

وعلينا ألا ننسى ونحن نرقب عدم اهتمام وسائل الإعلام باللغة العربية أن هذه الوسائل عينها تستطيع أن تقوم بدور إيجابي للغاية في إشاعة حب اللغة العربية بين الناس إما من خلال مقدمي البرامج الذين يعدون نماذج ملهمة للمواطنين، أو عن طريق تقديم البرامج المدروسة بعناية التي تقدم اللغة العربية للمواطنين بأسلوب شائق جميل.

إن المطلوب في هذا الصدد تطوير طرائق تدريس اللغة العربية عبر وسائل الإعلام لتفيد من الإمكانات الهائلة الجديدة في عالم الإعلام والاتصال.

إن الحكمة تقتضي من ا العمل على جعل هذه الثورة الإتصالية نعمة لا نقمة لنشر اللغة العربية على أوسع نطاق ممكن وتسخير هذه الوسائل الجديدة لصالح اللغة العربية بدلاً من تصوير الأمر وكأن التطور التقني، الذي لا يملك أحد القدرة على وقفه أو إبطائه، قد أصبح عائقًا يحول دون انتشار اللغة العربية بين الناس من خلال وسائل الإعلام.

وفي كثير من الأحيان فإن الفصيحة المتداولة في وسائل الإعلام تكون لغة عربية سليمة مبسطة. وأنا لا أدعو إلى التهاون هنا، ولكني أطالب بعدم المغالاة والتشدد، إذ أن وسائل الإعلام تخاطب عموم الناس وتحرص على إيصال الرسائل إليهم – بلغة واضحة بسيطة.

وينبغي التأكيد مرة أخرى أن الدعوة هنا لا ترمي إلى التهاون في التمسك الواجب بقواعد اللغة العربية، ولكنها تهدف إلى تبسيط الأمور على الناس. فقد أقام بعض اللغويين الدنيا ولم يقعدوها على وسيلة إعلام استعملت كلمتي "مزرعة دواجن" لوصف المكان الذي تربى فيه الدواجن وقالوا أن الصحيح هو "مدجنة". وعارض آخرون استعمال

كلمة "الشفافية" الشائعة حاليًا في وسائل الإعلام وقالوا أن الصحيح هو الشفوف والاستشفاف.

إن المطلوب هو التبسيط والتهوين وليس التهاون والاستخفاف، فإذا كانت الكلمة المستعملة فصيحة بسيطة فأرى أن لا بأس من إجازتها دونما تشدد، إذ أخشى أن يدفع هذا التشدد الناس للإبتعاد عن اللغة الفصيحة ودفعهم لإعتماد اللهجات المحكية. وهذا أمر بات منتشرًا في جميع وسائل الإعلام العربية. فالبرامج الإذاعية والتلفازية تقدم باللهجة المحكية، وحوارات (فيس بوك) و (وتس آب) و(تانغو) تدار جميعها باللهجات المحكية أو بلغات أجذبرية.

وأحسب أن التبسيط مطلوب ومرغوب ويكسب المزيد من الأنصار والمحبين للغة العربية.

لقد قامت لجنة الرصد اللغوي التي قدم أخي الدكتور عودة أبو عودة عرضًا وافيًا لمجهودها في هذه الدراسة برصد واقع اللغة العربية في بعض وسائل الإعلام الأردنية. ولا يساورني شك أن جهودًا مماثلة

تمت في دول عربية شقيقة حيث قامت لجان مشابهة برصد واقع اللغة العربية وفي وسائل الإعلام في تلك الدول. وأرى أنه من الضروري إجراء الاتصالات وعقد المقارنات بين النتائج التي بين أيدينا والنتائج التي توصلت إليها فرق مماثلة في بعض الدول العربية الشقيقة.

إن هذه المقارنة ستكون مفيدة للجميع. وقد نرى أن الأخطاء نفسها تتكرر في جميع الدول العربية. فما دلالة ذلك ؟ وهل يمكن لنا أن نختصر مراحل المعالجة باعتماد الحلول التي توصل إليها الأشقاء في دول عربية أخرى؟

ومع أن مواثيق الشرف لا ترقى إلى نفس فاعلية وأهمية القوانين، إلا أنها قد تشكل وازعًا أخلاقيًا لإلتزام وسائل الإعلام باللغة العربية. وقد يكون من المفيد دعوة وسائل الإعلام للتوقيع ع لى ميثاق شرف لحسن التعامل مع اللغة العربية.

ويمكن أيضًا التفكير بإطلاق جائزة سنوية تمنح للوسيلة الإعلامية التي تبدي أكبر قدر من التعامل الصحيح مع اللغة العربية، وسيؤدي ذلك إلى خلق تنافس شريف بين المؤسسات الإعلامية لتحسين تعاملها مع اللغة العربية والفوز بتلك الجائزة المرموقة.

وقد أشار الباحث الدكتور عودة أبو عودة إلى غياب التشريعات التي تلزم المؤسسات الإعلامية بالتأكد من دقة استعمال اللغة العربية. وهذا أمر في غاية الأهمية، ولا يمكن أن يستقيم تعامل مؤسسات الإعلام مع اللغة العربية إلا بوجود هذه التشريعات.

ومن الضروري أيضًا الإفراج عن قانون اللغة العربية الذي وضعه مجمع اللغة العربية الأردني مشكورًا وما يزال حبيس الأدراج منذ عشرين عامًا بانتظار اقراره من قبل الجهات المعنية.

ولا أرى غضاضة في إشارة الباحث الكريم الدكتور أبو عودة إلى الجامعة العربية باعتبارها المعنية حسب قوله في المقام الأول بالتأكيد على دقة استخدام اللغة العربية. وأرى أنه من الأجدى أن يتم التعامل

مع الدول بشكل مباشر ومع مؤسساتها المعنية ومجامعها اللغوية، فقد تراجع دور الجامعة العربية بشكل كبير في الأونة الأخيرة.

ومن الضرورة بمكان أن يولى موضوع التدريب على استعمال اللغة العربية في وسائل الإعلام اهتمامًا خاصًا. فتدريب الصحفيين على قواعد العمل الإعلامي الجديدة متواصل على قدم وساق، ولكن هذا التدريب كما يمارس حاليًا يفتقر إلى مساق اللغة العربية في وسائل الإعلام. وتكمن أهمية التدريب في أنه يصل إلى العاملين فعلاً في المؤسسات الإعلامية ويمكن قياس أثره عليهم وعلى العملية الإعلامية بشكل مباشر. ولدينا في الأردن حاليًا العشرات من مراكز التدريب في المجال الإعلامي ويمكن التواصل معها لحثها على إضافة مساق اللغة العربية إلى دوراتها التدريبية.

أكرر الشكر لأخي الدكتور عودة أبو عودة على بحثه القيم وتلخيصه الأمين لتوصيات فريق الرصد اللغوي الإعلامي المنبثق عن اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية، متمنيًا أن تكلل

هذه الجهود الخيرة بالنجاح في تحقيق أهدافها السامية الرامية إلى الارتقاء بواقع اللغة العربية في وسائل الإعلام الأردنية.